

بين السلطة والنص (الإرهاب الفكري أنموذجا)

م. قاسم عبد الزهرة حسب

كلية التربية / جامعة ميسان

gasm-2018m@uomisan.edu.iq

الملخص:

تتاول البحث الموسوم (بين السلطة والنص) (الإرهاب الفكري أنموذجا) مباني مرجعية الإرهاب الفكري وسلب سلطة النص سوى كان قرآنا أو حديثا نبويا ، من أجل تمرير فكرها المنحرف لخدمة أعداء الإسلام وتحجيم العقل أو بالأحرى تفرغ العقل من مبادئ الإسلام، وتعميق الاختلافات بين الأمة..... الخ ، لأن النص إذا اختلف في تأويله وظل باب التأويل مفتوحا لكل من هب ودب كلما زادة هوة الاختلافات في الأمة و سيطرت ومن هذا الباب صبت الجهل والتخلف والاسغلال من اصحاب الأفكار المنحرفة.

فتاوى القتل والقتال والتكفير وسيي المسلمات والاعتصاب... على هذه الأمة ، لهذا احتل التأويل النص حيزا كبيرا في المجال التداولي بين المسلمين، وارتبطت به المعارك الكلامية والقتالية ، وجر المسلمين إلى كثير من الجدل والصراع والويلات حتى يومنا هذا ، ومن المعروف أن للقرآن المجيد سلطة وهذه السلطة تأتي من النص ، ولكن من مباني الإرهاب الفكري تفرغ سلطة القرآن الكريم التي تأتي من النص تعالى لا بسبب أعجاز و جعلها تأتي من وراء النص ، باعتبار أن النص قاله أدراك دلالة النص ، ومن المعلوم ان القرآن مقدس بنصه ودلالته الموجبة للتقديس ، في حين أن السلطة (الإرهاب الفكري) جعلت القرآن مقدس بقدرما يحقق لها من أهدافها ورغباتها وخضوع الأمة لها وليس من سلطته النصية.

الكلمات المفتاحية: السلطة ، النص ، الإرهاب .

Summary:

Addressing the search for the basis of the authority of intellectual terrorism and rejecting the authority of the text, whether it is the Qur'an or the prophetic hadith, in order to pass on deviant thoughts to serve the enemies of Islam, and to expand the mind, or rather to empty the mind of the principles of Islam, and to deepen the differences between the nation, etc., because the text is different In

tawila and the interpretation is open to everyone, whenever there are differences in the nation. . And from this chapter, the fatwa of killing, fighting, blasphemy, and the captivity of Muslims, and raping ... on this nation, for this reason, the interpretation of the text has a great deal of scope in the discussion between Muslims, and it is related to the verbal and combative battles, and the Muslims are led to many disputes, conflicts, and calamities until this day, and this is well-known. That the Holy Qur'an has authority and this authority comes from the text.

However, the foundations of intellectual terrorism are to dismiss the authority of the Holy Qur'an that comes from the text, and the forgeries come from behind the text, on the basis that the text is destroyed by Allah Almighty, not because of the miracles and understanding of the meaning of the text. Al- Fakari) forging the Holy Qur'an to the extent that it fulfills its goals and desires and submits the nation to it, but not to the authority of the text.

المقدمة:

ولعل الكثير من الشباب لا يعرف كيف يتصرف وقتئذ أمام الإرهاب الفكري والتدليس والانحراف، لأن بعض هذه الانحرافات تكون خارجة عن القدرة العقلية والفكرية لدى الشباب، وأحياناً من نفسه وما يحيط به. فالإرهاب الفكري هو من أخطر أنواع الإرهاب، لأنه يقوم على تكميم العقل، بل يخلق في عقل الإنسان نوعاً من الجمود والخمول والموت الفكري، وهذه من مباني الإرهاب الفكري، لأنه يؤدي إلى قمع روح الإبداع الفكري بين أفراد المجتمع، وهذا ما تصبو إليه التيارات التكفيرية في الدول المتخلفة والمستبدة لينتشر الإرهاب الفكري في العالم، وتغيب فيها حرية الفكر والحوار والتفاهم، ويكون فيها المجتمع جاهلاً بسلطتها، ضعيفاً ومهزوماً فكرياً.

البحث الموسوم، "الحفاظ على العقيدة والأخلاق الإسلامية"، من أهدافه تسليط الضوء على الإرهاب الفكري ليتسنى للشباب المسلم تخطي ما يحاك له من قبل السلطة ومن يدور في فلكها، وبيان الشريعة الإسلامية السمحاء ويسرها، والاطلاع على محاسن هذا الدين، وهذا متأصل في التفسير والتأويل الذي يكون وفق القواعد الأصولية التي جاء بها الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام). فدور رجال الدين والأستاذ الجامعي له أهمية كبيرة في المؤسسات الدينية والجامعية من خلال تنوع أدوارهم ونشاطاتهم وواجباتهم، وذلك من خلال ضبط أصول الاستدلال للنص القرآني والسنة المحمدية، وبيان الأدلة الصحيحة من المدلسة والمكذوبة والزائفة.

وإذا كان ثمة تسليم بضرورة الاهتمام بالإنسان ورعايته باعتباره خليفة على أرضه، فإن هذا الاهتمام يجب أن يتضاعف في مرحلة الشباب (الشباب الجامعي) لأن هذه المرحلة من أخطر المراحل التي يمر بها الشاب في حياته؛ وذلك لما يحدث فيها من التغيرات والتحولات العقلية والفكرية والجسدية وغيرها، وأن الشباب المسلم هو المستهدف الأول أكثر من غيره لأنه صاحب المستقبل وهو الذي يحمل المسؤولية على كل الأصعدة، فصوبت سهام الإلحاد والانحراف والتغيير إليه من قبل تلك الجهات المنحرفة.

والمنهج الذي اتبعه الباحث في هذا الموضوع هو المنهج الوصفي التحليلي. وقد توزع البحث في ستة مطالب:

المطلب الأول: تناولنا فيه المفاهيم في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: قدسية النص الديني.

المطلب الثالث: النص وسلطة الإرهاب الفكري.

المطلب الرابع: اللاهوتية والإرهاب الفكري.

المطلب الخامس: آية السيف والإرهاب الفكري.

المطلب السادس: دور مبادئ الإرهاب الفكري في توظيف النص.

المطلب الأول: تعريف المفاهيم

1-السلطة لغة:

أ- السلطة:

قال ابن منظور: (السلطة القهر، وقد سلطه فَتَسَلَّطَ عليهم، والاسم سلطة، بالضم)^١.

ب- سلطات وسلطات:

تحكم، سيطرة «سلطة الطبقة الحاكمة»، «سلطة مطلقة»، «أخضع بلدًا لسلطته».

نفوذ، مكانة، تأثير وسطوة، سيادة، حكم «سلطة الشعب».

قدرة وفعالية «هذا المركز يوليه كثيرًا من السلطة».

سيادة، سيطرة، قوة «سلطة القانون»، «سلطة المال».

حق طبيعي في ممارسة السلطة «سلطة الأب على أبنائه».

قوة سياسية يخضع لها المواطن، حكم، سلطان «سلطة الملك».

قدرة على التأثير أو تأثير قوي «سلطة سحرية»، «سلطة لا تقاوم».

سيادة يفرضها القانون «سلطة روحية»، «سلطة زمنية».

١. ابن منظور، لسان العرب، ج، ٧، ص. ٣٢٠.

قدرة على فرض التأثير والنفوذ على الآخرين «استعمل المسؤولون في الدولة السلطة العليا»، «اعتقلت السلطة بعض رجال المعارضة»^٢.

ج- السلطة:

إما للمملكة أو القدرة والقهر، تقول سلطه فَنَسَلَطَ عليهم، وتأتي بمعنى الحجة. وسمي السلطان سلطاناً لأنه حجة في أرضه، وقيل إنه من السلطة بمعنى الحجة، وسمى السلطان سلطاناً لأنه حجة.

ويأتي أصل الكلمة من "السليط" وهو الزيت لأن السلطان يضيء في دفع الظلم عن العباد وإعطائهم حقوقهم. ونشوء هذا المصطلح في الفقه السياسي كان في القرن الرابع الهجري/الحادي عشر الميلادي، وجاء اختيار هذا المصطلح لكثرة الملوك والأمراء فيختار منهم واحد يكون حاكماً عليهم، ويعني صاحب السلطة العليا. وحقيقة السلطان أنه المالك للرعية - أي يملك الولاية عليهم - والقائم في أمورهم عليهم، فالسلطان من له رعية، والرعية من لها سلطان.

وأول من سمي بهذا اللقب خالد بن برمك وزير هارون الرشيد (ت ١٩١ هـ / ٨٠٦ م) لقبه به لأنه كان يرسم السياسة الخارجية للدولة ويستقبل رسل الملوك.

ولأهميته يصفه الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) فيقول: (إن السلطان ضروري في نظام الدنيا، ونظام الدنيا ضروري في نظام الدين، ونظام الدين ضروري في الفوز بسعادة الآخرة)، وعبر الأمدى (ت ٦٣١ هـ) عن ذلك بقوله: (ولذلك نجد من لا سلطان لهم كالدئاب الشاردة والأسود الضارية لا يبقى بعضهم على بعض ولا يحافظون على سنة ولا فرض)^٣.

2- السلطة في الاصطلاح: -

هي السيطرة، والتمكن، والقهر، والتحكم. ومنه السلطان، وهو من له ولاية التحكم والسيطرة في الدولة. فإن كانت سلطته مقصورة على ناحية خاصة فليس بخليفة، وإن كانت عامة فهو الخليفة^٤.

3- تعريف النص لغة:

أ- مقاييس اللغة:

النون والصاد أصل صحيح يدل على رفع وارتفاع وانتهاء في الشيء... ونصبت الرجل: استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج ما عنده. وهو القياس، لأنك تبتغي بلوغ النهاية^٥.

٢ المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، ص. ٦٨٨

٣ - 3 معجم المصطلحات السياسية في تراث الفقهاء ، ص. ١٣٥

٤ . الموسوعة الفقهية ، ج ٦ ، ص. ١٩٦ معجم المصطلحات و الألفاظ الفقهية ، ج ٢ ، ص ٢٨٧

٥ . ابن فارس (المتوفى: ٣٩٥ هـ) معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، دون طبعة، ١٩٧٩ م، ج ٥، ص. ٣٥٧.

ب- ابن منظور:

النص: رفعك الشيء. نص الحديث ينصه نصًا: رفعه. وكل ما أظهر فقد نص. وأصل النص أقصى الشيء وغايته^٦.

ج- تاج العروس:

أصل النص: رفعك للشيء وإظهاره، فهو من الرفع والظهور. ومنه المنصتَرَفَعُكُ لِلشَّيْءِ وإظهاره فهو من الرفع والظهور ومنه المنصة.... نَصَّ الشَّيْءَ (يُنْصُهُ) نَصًّا: حَرَكَهُ^٧ يقول أيضًا: النص: الإسناد إلى الرئيس الأكبر. والنص: التوقيف. والنص: التعيين على شيء ما. وكل ذلك مجاز، من النص بمعنى الرفع والظهور^٨.

3- تعريف النص اصطلاحًا:

1- اختلف العلماء في تعريف النص اصطلاحًا، وذلك حسب المجال المعرفي الذي تتم فيه الدراسة. ففي اصطلاح الأصوليين، يدل النص على "ما لا يحتمل إلا معنى واحدًا أو ما لا يحتمل التأويل"^٩. يقول العلامة الحلبي: "ينقسم اللفظ باعتبار ظهور دلالاته على معناه وخفائها إلى نوعين: إن لم يحتمل غير ما فهم منه فهو النص، وإن احتمل فإن تساويا فالمجمل، وإلا فالراجح ظاهر والمرجوح مؤول"^{١٠}.

4- الإرهاب لغة:

أ- أتى من "رهب" بمعنى خاف، والاسم "الرهب"، كما في قوله تعالى: {من الرهب} أي بمعنى الرهبة^{١١}.

ب- وكلمة "الإرهاب" مشتقة من "رهب" بالكسر، يرهب، رهبة ورهبا (بالضم)، ورهبا (بالتحريك) بمعنى أخاف، وترهب غيره: إذا توعدده، وأرهبه ورهبه: أخافه وفرّعه. ورهب الشيء رهبا ورهبا، ورهبه: خافه، والاسم: "الرهب"^{١٢}.

ج- "رهب": الرء والهاء والباء أصول: بعضها يدل على خوف، والآخر على دقة وخفة. فالأول الرهبة، تقول: رهبت الشيء رهبا ورهبا ورهبة. والترهب: التعب. ومن الباب الإرهاب، وهو قدع الإبل من الحوض وزيادها. والأصل الآخر: الرهب وهو الناقة المهزولة، والرهب وهو عظم في الصدر مشرف على البطن مثل اللسان^{١٣}.

٦ أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر- بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٤ - هـ، ج٧، ص ٩٨ وما بعدها.

٧ أبو الفيض، محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الزبيدي، تاج العروس، مجموعة من المحققين، دار الهداية، دط، ج١٨، ص 179.

٨ أبو الفيض، محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الزبيدي، تاج العروس، مجموعة من المحققين، دار الهداية، دط، ج١٨، ص 179.

٩ المرجع نفسه، ج١٨، ص ١٨٠.

١٠ مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤، ج٢، ص ٩٢٦.

١١ العلامة الحلبي، مبادئ الوصول، ٦٥.

١٢ لسان العرب، ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر ودار، بيروت، ١٩٥٥م ١٣٧٤ - هـ، ٣٣٧، ٨، بتصرف.

١٣ الصاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٧٥م، مادة: الرهب

١٣ القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م، باب الباء فصل الرء، ص ١١٨.

د - وكلمة "إرهاب" تُشتق من الفعل المزيد "أرهب"، ويقال "أرهب فلاناً": أي خوَّفه وفزَّعه، وهو المعنى نفسه الذي يدل عليه الفعل المضعف "رَهَّب". أما الفعل المجرد من المادة نفسها وهو "رهب"، يرهب رهبة ورهباً ورهباً فيعني خاف. فيقال: رهب الشيء رهبا ورهبة أي خافه. والرهبة: الخوف والفرع^{١٤}.

هـ - وفي المعجم لابن فارس: "رهب" الرء والهاء والباء أصلان: أحدهما يدل على خوف، والآخر يدل على دقة وخفة. فالأول الرهبة، تقول: رهبت الشيء رهبا ورهبة. ومن الباب الإرهاب، وهو قدع الإبل من الحوض وذيادها. والأصل الآخر "الرَّهْب" وهو الناقة المهزولة^{١٥}.

وقدع الناقة يعني زجرها. أما في معاجم اللغة الحديثة، نلاحظ تطوراً في معنى "الإرهاب"، فقد جاء في المعجم الوسيط: الإرهابيون: "وصف يُطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية".^{١٦} وفي المنجد، كلمة الإرهابي تدل على كل "من يلجأ إلى الإرهاب لإقامة سلطة"^{١٧}.

5- الإرهاب اصطلاحاً:

أ - الإرهاب الفكري: (هو استخدام السلطة المعنوية أو المادية في وجه الآخرين بغرض فرض رأي محدد، أو إجبار الآخرين على سلوك ما يعتقد من يستخدم السلطة المعنوية أو المادية أنه صواب)^{١٨}.

ب - وفي الموسوعة السياسية نجد أن الإرهاب يعني: (استخدام العنف - غير القانوني - أو التهديد به بأشكاله المختلفة بغية تحقيق هدف سياسي معين مثل كسر روح المقاومة والالتزام عند الأفراد وهدم المعنويات عند الهيئات والمؤسسات، أو كوسيلة من وسائل الحصول على معلومات أو مال، وبشكل عام استخدام الإكراه لإخضاع طرف مناوئ لمشئئة الجهة الإرهابية)^{١٩}.

ج - ومن المفاهيم الإسلامية البارزة للإرهاب ذلك المفهوم الذي قدمه آية الله محمد علي تسخيري، مستشار الرئيس الإيراني للشؤون الثقافية والأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بطهران، في ورقة عمل تحت عنوان "تحو تعريف للإرهاب"، قدمها للمؤتمر الدولي للإرهاب الذي عقدته منظمة المؤتمر الإسلامي ونشرته مجلة التوحيد الإيرانية بالمجموعة الخامسة رقم ١ لسنة ١٩٨٧. يرى تسخيري أن "الإرهاب عمل يُنفذ بغرض تحقيق أهداف غير إنسانية وفاسدة، ويشمل تهديد الأمن بكل أنواعه، وانتهاك الحقوق التي يقرها الدين والإنسان". ويشدد تسخيري على أن مفهومه هذا لا ينطبق على بعض الحالات مثل "أعمال المقاومة الوطنية ضد القوات المحتلة، ومقاومة الشعب ضد المجموعات التي تفرض عليهم السلاح بقوة، ورفض الدكتاتوريات

١٤. معجم مقاييس اللغة، لأبي فارس أبي الحسين بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ٤٠١ / ٢، مادة رهب.

١٥. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط٢، القاهرة ١٩٧٢م، ص. ٢٨٢.

١٦. المنجد في اللغة، دار المشرق، بيروت، ط٢٩، ١٩٨٦م، ص. ٢٨٠.

١٧. المرجع السابق ص. ٢٨٢.

١٨. البرعي، وفاء. دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢ م)، ص. ١١.

١٩. الرائد معجم لغوي عصري، مسعود (جيران)، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٦٧م، ص. ٨٨.

والأشكال الأخرى من الطغيان، والثأر ضد العدوان إذا لم يكن هناك بديل لذلك، والمقاومة ضد التفرقة العنصرية.^{٢٠}

المطلب الثاني: قدسية النص الديني:

من الأمور الأساسية التي يعتمد عليها كمنهج في فهم النص القرآني أو الحديث النبوي هو فهم النص، لهذا مرجعية السلطة مارست أكثر من عملية إسقاط معرفية على القرآن الكريم والسنة المحمدية، لأنها لا تريد فهم النص الديني كما يريد ذلك النص أن ينطق به، لأنها تحتضن ثقافة الفكر الإرهابي المنحرف، فتسعى لفهم النص بما لديها من آراء وقناعات مسبقة، وفي هذه الحالة لا يمكن اعتماد القرآن الكريم والسنة النبوية كأساس يعتمد عليه لمحاكمة هذا التراث أو ذلك. لهذا يمارس أكثر من تعسف في فقه النصوص الدينية وفهمها.

وبما أن كثيراً من أحاديث الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) خرجت بعد وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم)، فزُورَتْ وحُرِّفَتْ، ودخل عليها الوضع والتدليس والكذب، والتقول على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

وهذه من المشاكل الحقيقية التي ابتليت بها مرجعية الإرهاب الفكري التكفيري، بل وتأثر بها الفكر الإسلامي والتراث الإسلامي، وأثرت في ثقافة المجتمع الإسلامي وسلوكه. وقد سُخرت هذه الأحاديث لأغراض مذهبية وطائفية وشخصية وسياسية وسلطوية، أدت إلى انشقاق الوحدة الإسلامية إلى ما هو عليه الآن. فأصبح كل مذهب وطائفة يستند إلى مصادر ومراجع خاصة تدعم مذهبه وطائفته، والهوة تتفاقم طردياً كلما ابتعدنا عن عصر الوحي.

من هنا احتاجت مرجعية السلطة وهذا الفكر المنحرف إلى النصوص المقدسة لتعضيد فقهها وسياستها بما يبرر أفعالها على جميع الأصعدة. بهذا الفعل أبعدت المرجعية المعصومة، وقُمت المعارضة، ورُسِّخ حكم السلطة والمذهب على حساب النص الإلهي. والسبب أن النص المقدس له سلطة داخلية وخارجية، لذا سلطته عليا ومؤثرة، سواء كان آية أو رواية.

فما يقوله النبي وحي سماوي لا ريب فيه: ﴿وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى﴾^{٢١}. وطاعته مفترضة وواجبة على المؤمنين: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾^{٢٢}.

فالرواية تستمد قدسيتها وتعاليتها من النص، ولها ما للآية من إلزام، أمراً ونهياً^{٢٣}.

المطلب الثالث: النص وسلطة الإرهاب الفكري:

٢٠. مجلة التوحيد الإيرانية بالمجموعة الخامسة رقم ١ السنة ١٩٨٧

٢١. سورة النجم، الآية ٣، ٤.

٢٢. سورة النساء، الآية ٥٩.

٢٣. ينظر: المالكي حسن بن فرحان، داعية وليس نبيا، دار الرازي، عمان الأردن، ٢٠٠٤م، ط١، ص. ١٣٧-١٣٣

هناك نزاع بين (النص وسلطة الدولة والمذهب) في تأويل النص القرآني والحديث النبوي. وفي الأغلب، تهيمن سلطة الدولة على سلطة النص.

ومثال على ذلك قال تعالى: {إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون}٢٤.

السلطة الحاكمة أمرت بتأويل {وليكم} إلى الناصر والمحب فأدرجت الأمة على ذلك.

لكن حينما يكون النزاع في النص القرآني، فالنص يمتاز عن غيره بقواعد وأساليب وأدوات تعبيرية على الباحث والمفسر.

لأن قدسية النص، وحسب المفهوم الإسلامي، تأتي قدسيته من داخله ولم تأتِ قدسيته من خارجه. فمفهوم قدسية النص يعني سلطته التامة على الجميع.

وكذلك سلطة المذهب لا تقل عن سلطة السلطة؛ لأن قوته منها. حينها تكون سلطة المذهب نافذة في النص وتعلو عليه، فيصبح النص بألفاظه وقواعده ودلالاته.

موجه من قبل المذهب، حينها تُسلب قدسية النص وتضاف إلى قدسية المذهب، فيصبح النص خاوياً من الداخل، فيستمد قوته من الخارج، وهذا ما يصبو إليه الفكر المنحرف. وكما يقال: "البقاء للأقوى"، فالتنازع بين هذه السلطات (النص والسلطة والمذهب) يدور حول محور واحد هو التفسير والتأويل. فإن رجحت كفة السلطة أعجزت كلاً من النص والمذهب، فيصبح كل منهما أداة في تحقيق ما تصبو إليه السلطة الحاكمة. ومن هنا بدأ تمزيق وحدة الأمة الإسلامية على يد السلطة، أو بالأحرى التيارات التكفيرية، التي حققت أهدافها وأفكارها وأهواءها وسمومها عن طريق النص والمذهب. لهذا تحول النص والمذهب إلى ألعوبة بيد السلطة.

وإن السلطة (الإرهاب الفكري) على علم بإشكالية التفسير والتأويل التي تكون نسبتها الغالبة تعود إلى المفسر والمؤول وإمكانياته في قراءة النص. فالمؤول له القدرة على تجسيد فهمه للنص بدقة وجعله في خدمة السلطة وليس النص، برغم أن النص له هوية مستقلة عن المؤول. عندما نقول إن سلطة مرجعية الإرهاب الفكري قاهرة للنص أو المذهب، نقصد تلك السلطة التي هيمنت بنفسها على كتب التفسير والتأويل والدراسات اللسانية، فخرج لنا الفكر الإرهابي الذي تمخض منه الفكر السلفي (الوهابية) وأذرعه مثل داعش.

فمن مباني مرجعية الإرهاب الفكري سلب سلطة النص سواء كان قرآنًا أو حديثًا نبويًا، من أجل تعميق الاختلافات بين الأمة. لأن النص إذا اختلف في تأويله وظل باب التأويل مفتوحًا لكل من هب ودب، زادت هوة

الاختلافات في الأمة. ومن هذا الباب صبت فتاوى القتل والقتال والتكفير على هذه الأمة. لهذا احتل التأويل النصي حيزاً كبيراً في المجال التداولي بين المسلمين، وارتبطت به المعارك الكلامية والقتالية، وجرّ المسلمين إلى كثير من الجدال والصراع والويلات حتى يومنا هذا.

المعروف أن للقرآن المجيد سلطة، وهذه السلطة تأتي من النص، ولكن من مباني الإرهاب الفكري تفرغ سلطة القرآن الكريم التي تأتي من النص وجعلها تأتي من وراء النص، باعتبار أن النص قاله تعالى لا بسبب إعجاز أو إدراك دلالة النص. ومن المعلوم أن القرآن مقدس بنصه ودلالته الموجبة للتقديس، في حين أن السلطة (الإرهاب الفكري) جعلت القرآن مقدساً بقدر ما يحقق لها من أهدافها ورغباتها وخضوع الأمة لها، وليس من سلطته النصية.

(اختلف العلماء كثيراً في تفسير النص وتأويله (علماً أن النص لسان مبين)، فاختلف العلماء وهيمنة سلطة النص الخارجية على القارئ غير العالم سيعطل سلطته ويوقف كل مؤهلاته للدخول في النص، ويضفي على النص هالة من الخوف والقدسية التي ليست في صالح النص بل تصب في مصلحة المؤولين الذين سيصبح تأويلهم قرآناً يسير عليه القراء، الذين سينشغلون بتأويل العلماء ويتركون النص إلا لأغراض التلاوة والتبرك والقسم وغيرها. لذلك انقسم الناس بالتبعية للمؤولين وليس في النص الأصل)^{٢٥}.

المطلب الرابع: اللاهوتية والإرهاب الفكري

اللاهوتية الجبرية إذا رسخت مبدأ الخضوع والاستسلام في الأمم السابقة، فإن مرجعية الإرهاب الفكري وعلى رأسها السلفية كانت في أمس الحاجة لتوظيف النص الإلهي لإخضاع فكر الأمة، وخصوصاً شبابها عبر تكريس شعار الدولة الثيوقراطية التي جاء أفرادها إلى الحكم بمشيئة إلهية، حيث تغدو الأسرة الحاكمة بأمر رباني، فتروج الأسرة الحاكمة ووعاظ السلاطين وعلماء البلاط أن توريث الحكم أمر سماوي لا يمكن لأحد أن يعارضه. "معاوية بن أبي سفيان" كان أول من حاول استخدام الإرهاب الفكري لتبرير جوره؛ فقد خرج يوماً على منبره يتلو قوله تعالى: {وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم}^{٢٦}، ثم أردف قائلاً: فعلام تلومونني إذا قصرت في إعطائكم؟^{٢٧}.

وكما يؤكد "إسبينوزا"، (فإن نظام الحكم الملكي الوراثي هو العدو الأول للحرية، حتى في ظل وجود حكومة؛ لأنها سرعان ما تستحيل إلى حكومة أرستقراطية، وقد يكون الملك مجرد طفل طائش أو مريض قاصر أو مسن طاعن في السن، أو منصرف عن شؤون الحكم إلى البحث عن لذاته، فتنتقل الأمور إلى أيدي حاشيته أو

٢٥. يوسف ، حمزة فاضل، بها تأويل القرآن سلطة القارئ أم سلطة النص.

٢٦. سورة الحجر الآية ٢١.

٢٧. الزمخشري ، ربيع الأبرار ، ص. ٦٨٣.

بطانته، وحينما يخشى الملك رعيته، فإنه يجد نفسه مضطراً إلى قهرها حتى يضمن لنفسه البقاء في الحكم، وتبعاً لذلك، فإنه كلما كانت سلطة الملوك كبيرة كانت حالة الرعية أشقى وأتعس، وحينما يكون كل شيء رهناً برغبة رجل واحد طائش ومتقلب أصبحت الحاجة ماسة لاستخدام كافة أدوات القهر)^{٢٨}.

ومرجعية الإرهاب التكفيري كانت على معرفة تامة بنفسية المجتمع السني، وهي كانت بحاجة إلى مثل هذا المجتمع، الفارغ والخواوي على عروشها والمنهزم على الصعيدين النفسي والاجتماعي؛ وخصوصاً السلطات الحاكمة التي توجت من قبل أعداء الإسلام بحيث أصبح مصيرهم خارج نطاق سيطرتهم الذاتية، وانعدمت إرادتهم أمام إرادة هذه الدول المهيمنة على العالم الإسلامي. حينئذ قدمت مرجعية التيار الإرهابي وعبر...

الأدوات الدينية مخرجا سماوياً مقدساً مارسته على الأمة، بحيث أصبحت العقيدة التي زرعتها السلطة الحاكمة في عقل الأمة مسوغاً مقبولاً لجميع الممارسات التي تقوم السلطات باتجاه الإنسانية، إلى درجة أخذت الأمة وإلى يومنا هذا تبرر لخنوعها واستسلامها وانحناء رقابها لتفسير وتأويل أقنعت نفسها به، وعليه تكون كل ممارسات هذه الأمة مجرد قانون عام يحكم مرجعية التيارات التكفيرية والسلطات الحاكمة. وهذا القانون، أو هذا الحكم، وضعته السماء سلفاً وقدرت بمشيتها تفاصيله وفق منظومة. فالابتلاء على قدر وقدره، يكرس الاستكانة والخضوع من باب الرضى بقضاء الله وابتلاء عباده، وعلى أساس تأويل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الإيمان، وإذا أحب الله عبداً ابتلاه، وعلى أساس هذا التأويل استسلمت الأمة على أن الصبر على الظلم والقهر والفقر والمرض امتثالاً لإرادة الله ومعياراً للإيمان، فالخروج على الظالم الفاسق والشارب الخمر وقاتل النفس المحترمة والمستبد لا يجوز.

ويمكن للأسنان البسيط أن يلحظ العلاقة بين الإرهاب الفكري والاستبداد كممارسة، فمرجعية التيار الإرهابي، التي على رأسها السلفية، طرحت الجبرية والقدرية كمبرر ديني كانوا في أشد الحاجة إليه لتسويغ ممارساتهم من القتل والقتال والتفجير وسبي المسلمين وتفجير المساجد وأضرحة الأئمة والأنبياء والشهداء والصالحين، كمذهب يكرس الخضوع والاستسلام للقضاء والقدر الذي جاء بهم إلى الحكم. وقد استطاعت مرجعية الإرهاب الفكري وكل السلطات التي جاءت بعدهم نيل اعتراف الرعية قسراً بأحقيتهم في السلطتين الدينية والمدنية، بوصفهم خلفاء النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بكل ما تحمله هذه الكلمة من دلالات دينية وعرقية.

لقد عمد الإرهاب الفكري التكفيري المستبد إلى وضع يده على العقل المسلم والتمهيد لإقصائه، فصدر مرجعيته مرسوماً فريداً من نوعه، يأمر فيه بعقاب كل من راودته نفسه باستخدام العقل كوسيلة لمناقشة المفاهيم العقلية في القرآن والسنة، فسخرت ما تمتلكه من أدوات الرعب ضد العقل والتفكير، اللذين أصبح الاقتراب منهما جريمة تعاقب عليها الدولة بالنفى والقتل والإبعاد. واستمر هذا المرسوم إلى يومنا هذا، فقدمت النقل على العقل، وصادرت العقل المتطور والمنفتح على المتغيرات سواء على الساحة الإسلامية أو العالمية، بل كفرت وقتلت من

قدم العقل على النقل، بل تجاوزت كل الشعارات التي رفعتها هذه السلطات وبدأت تقتل على المذهب والهوية والطائفة والفكر والرأي.

المطلب الخامس: آية السيف والإرهاب الفكري

نجد بوضوح أن أزمة هذا الإرهاب مع النص هو إهماله للسياق النصي الكامل إهمالاً، وسلب قدسية النص القرآني والنبوي ليصبح النص لعبة بيده يوجهه كيف يشاء. وهذه الطريقة اتبعتها التيار الوهابي الداعشي بقيادة ابن تيمية ومحمد عبد الوهاب وأبناء هذه المدرسة، وهي طريقة توحى بالجهل المطبق ممن يقدمون أنفسهم رجال دين.

وبالأحرى رجال ضلال. يمكننا بوضوح الاستدلال على ما يرمي إليه الإرهاب الفكري التكفيري السلفي الوهابي، وهذا النوع من الاجتزاء في التعامل مع آية وهي أشهر آية استخدمتها التيارات الوهابية التكفيرية لقتل الناس، وهي آية السيف، وهي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُواهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلٌّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^{٢٩}.

وهذه الآية من الآيات التي أولتها التيارات التكفيرية بما يستلهم منها كل معاني العدوانية والتحريض على العنف والقتل والقتال والذبح وتفجير المسلمين في مساجدهم وحسينياتهم ومدارسهم وأسواقهم، بل في كل مكان وسلب أموالهم، بل إذلال المسلم والمسلمة بطرق تدمي القلوب. أطلق كثير من أتباع المرجعية السلفية والتيارات التكفيرية على هذه الآية اسم "آية السيف" وجعلوها حجة ومعياراً في التعامل مع المسلمين وغير المسلمين كافة، فتشكلت عقائد هذه التيارات على منهج ضيق، وهو بعيد كل البعد عن روح الإسلام التي هي السلم والسلام والتعايش السلمي بين أبناء البشر، حتى ادعوا نسخ كل آيات التعارف والمودة التي تعد بالمئات استناداً إلى مبانيهم وعقائدهم ومفهومهم لهذه الآية. وكل هذا يعكسونه على الأمة الإسلامية وغيرها تحت شعار تأويل النص، ولكن في الحقيقة هذا ليس مراد النص، ويعيد كل البعد عما يرمي إليه المشرع.

وكما وضحنا، فإن هذا الإرهاب الفكري الوهابي الذي غرض الطرف عن سياق الآيات القرآنية التي تدعو إلى العقل والفكر والحوار والمحبة والمودة واللطف والتعايش السلمي، في حين أن السياق هو العامل الأول في الحكم على أي تأويل للنص بغض النظر عن مدى بعده أو قرابه من دلالة النص اللغوي.

وبالتعرض لسياق الآية يتبين زيف كل تلك الترهات الفارغة التي تسوقها هذه التيارات تحت دعوات مزيفة وتزرعها في عقول شباب الأمة لإبعادهم عن الإسلام الأصيل.

تطبيق الشريعة، ما هي الشريعة التي تريدون تطبيقها على هذه المعمورة؟ كتب ابن تيمية، فتجد الإرهابيين يستشهدون بفتاواه الشاذة الواردة في (مجموع الفتاوى)، كما يستشهد به العقلانيون وأصحاب الفلسفات من كتاب (درء التعارض بين العقل والنقل) كأساس قوي للتعامل مع التعارض الحادث بين ظواهر النصوص وقواعد العقل.

كأساس قوي للتعامل مع التعارض الحادث بين ظواهر النصوص وقواعد العقل والمنطق . كتاب التوحيد محمد عبد الوهاب الذي كفر به الامة الاسلامية بأجمعها إلا هو وأتباعه.

المطلب السادس: دور مباني الإرهاب الفكري في توظيف النص ("لقد جئتم بالذبح")

من الحكمة الإلهية أن أسندت تفسير النص الديني إلى المرجعية المعصومة، لأن النص يحتمل أكثر من دلالة. مثال على ذلك أن التطرف والإرهاب والتكفير له مناشئ فكرية ومعرفية كثيرة تقف في مقدمتها النصوص الدينية، وهذه النصوص يتم توظيفها وفق مباني هذه التيارات على نحو معين. فالإرهاب الفكري يقدم الفهم الإجمالي للنص الديني مؤدلاً، بمعنى أنهم يجعلون النص يتماشى مع تصور أيديولوجي معين لبناء المجموعات المتطرفة دينياً أو نحو ذلك. ولذلك نشأت التيارات التكفيرية من خلال النصوص الدينية التي تبنتها تلك التيارات، وفي مقدمتها التيار الأموي وتحت أنظار مرجعية الصحابة يتم توظيف النص الديني، وإلى هذا الوقت تواصل التيارات توظيف نص مرجعية الصحابة في أعمال الإرهاب الفكري وغيره.

وذلك محاولة لأخذ الأحكام من القرآن مباشرة، حيث إن فهم القرآن الكريم فهماً صحيحاً وغير مغلوط، يحتاج إلى معرفة تفصيلية كاملة، وهذا لا يمكن الوصول إليه مهما بلغ الإنسان من العلم، وإنما هذا يكون عند من اصطفاهم الله تعالى فقال: {فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} ^{٣٠}. لأنه ليس من المعقول أن يحيلنا الله تعالى إلى هؤلاء وهم لا يملكون العلم. فلا بد من توفر الاستعداد العلمي الخاص والعام في كل شيء، وإلا سوف يكون الاستنباط والفهم الظاهري والباطني غير موافق لمراد القرآن الكريم، وخصوصاً إذا ما تناول ذلك الفهم قضايا خطيرة مثل قضية الإيمان والكفر، وما يمكن أن يترتب عليها من تكفير لشرائح كبيرة من المسلمين وعامة الناس، بل والخوض في دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

فهناك عشرات من الكتب التي ألفت في زمن الدولة الأموية والعباسية والوهابية وإلى يومنا هذا، تحمل في طياتها النصوص التي تدعو بصراحة إلى محاربة العقل ونشر العنف سواء كان إقامة الحدود والقتل أو الاستبداد، والاعتصاب والسبي وأحكام الزنا... إلخ. بل أكثر من هذا أن هذه النصوص لم تبقَ في طيات الكتب، وإنما قامت هذه التيارات بالبوح بها وعلى رؤوس الأشهاد بواسطة الفضائيات المأجورة وبكل وقاحة تشترع الإبادة الجماعية لمجتمعات بأكملها. من هنا، تتظر المجتمعات العالمية إلى هذه النصوص بنوع من الارتياح، بل

٣٠.سورة النحل ، الآية. ٤٣

تتظر إليها المجتمعات العالمية المتحضرة بأنها أحكام ضد الإنسانية. فهذه النصوص هي أمور وأحكام لم تعد مقبولة في الزمن الحاضر ومموجة من جميع العالم إلا من لديهم مصلحة مع هذه التيارات والحكومات التي تدعمها.

تسخر هذه الجامعات خدمة الى الطغاة وتشويه الاسلام المحمدي أمام العالم .مثال على الحديث ذلك هذا الحديث (جئتم بالذبح) ٣١، فجاء دور المباني التكفيرية في فهم هذا وكيف تعاملوا معه؟ لقد اتخذت التيارات هذا الحديث ("جئتم بالذبح") ٣٢ شعاراً ممنهجاً في التعامل ليس مع الكفار فحسب، بل مع سائر المسلمين ممن لم يركبوا في سفينتهم، وممن يرفضون مبايعتهم ومناوئهم. لقد أصبح القتل ذبحاً بقطع الأوداج بالسكين بالصوت والصورة للأطفال في حجر أمهاتهم، والتاريخ يشهد بذلك. فهذه أحداث كربلاء والحررة. واليوم، التيار الأموي يحرص كل الحرص على تصوير ونقل بوسائل التواصل الحديثة بإخراج هوليوودي محترف في منظر مرعب تتفطر منه القلوب، وتتشعر منه الأبدان كيف يذبحون الكبير والصغير، الرجل والمرأة. إن هذا السلوك الهمجي يتم مع الأسف باسم الإسلام، سواء في زمن مرجعية الصحابة أو في زمن التيارات الأموية الوهابية الداعشية. وفي الوقت نفسه، يفهم العالم بكل مكوناته أن الإسلام دين الذبح، والدماء، والأشلاء، والوحشية المفرطة.

المصادر:

• القرآن الكريم

• نهج البلاغة

١. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر ودار بيروت، ١٩٥٥م، ١٣٧٤هـ، بتصرف.
٢. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٥م، مادة: "رهب"، بتصرف.
٣. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م، ١٤٠٧هـ، باب الباء، فصل الرءاء.
٤. أبو فارس، أبي الحسين بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢.
٥. مختار، أحمد عبد الحميد (ت ١٢١٤هـ)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط٢، القاهرة، ١٩٧٢م.
٦. الأزدي، علي بن الحسن، المنجد في اللغة، دار المشرق، بيروت، ط٢٩، ١٩٨٦م.
٧. المالكي، حسن بن فرحان، داعية وليس نبياً، دار الرازي، عمان، الأردن، ٢٠٠٤م، ط١.
٨. يوسف، حمزة فاضل، تأويل القرآن سلطة القارئ أم سلطة النص.

٩. الزمخشري، ربيع الأبرار، الناشر: مؤسسة العلمي للمطبوعات، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ.
١٠. زكريا إبراهيم، مشكلة الحرية، مكتبة مصر، السلسلة: مشكلات فلسفية معاصرة، ٢٠١٤م.
١١. أحمد، ابن محمد بن حنبل، مسند أحمد، المحقق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.
١٢. الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، ط٢، الناشر: مؤسسة العلمي للمطبوعات، بيروت.
١٣. الشاهرودي، علي النمازي، مستدرک سفينة البحار، سنة الطبع ١٤١٨هـ.
١٤. الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، قم: دار الحديث، ١٣٧٥هـ.
١٥. الغزالي، إحياء علوم الدين، دار الفجر للتراث، ط٢.
١٦. الإبراهيمي، محمد عطية، التربية الإسلامية وفلسفتها، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.
١٧. سلطان، محمود السيد، مسيرة الفكر التربوي عبر التاريخ، دار الشروق، جدة، ١٤٠٣هـ.
١٨. الشيرازي، مكارم، الأمتل في تفسير كتاب الله، الناشر: إسماعيليان، قم المقدسة، ط٢.
١٩. القشيري، عبد الكريم، لطائف الإشارات، تفسير القشيري، ط٢، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
٢٠. العلمي، أبو اليمن، فتح الرحمن في تفسير القرآن، ط١، الناشر: دار النوادر، دمشق، ٢٠٠٩م.
٢١. عقل، فاخر، معالم التربية، دراسات في التربية العامة والتربية العربية، بيروت.
٢٢. الطهطاوي، أحمد، القيم التربوية في القصص القرآني، دار الفكر العربي، القاهرة.
٢٣. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٢٤. الأسمر، أحمد رجب، فلسفة التربية في الإسلام، دار الفرقان للطباعة والنشر، عمان، الأردن.
٢٥. بركات، أحمد لطفي، القيم والتربية، الرياض، دار المريخ للنشر والطباعة.
٢٦. الجوهري، سميرة، التدخل المهني لطريقة تنظيم المجتمع وتنمية اتجاهات الشباب نحو المشاركة في مشروعات التنمية البيئية لمجتمعهم المحلي، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، القاهرة، ٩٧٣، ٣٢.
٢٧. الكليني، محمد يعقوب، الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر غفاري، ط٥، ١٣٦٣ش، مطبعة حيدري، دار الكتب الإسلامية، طهران.
٢٨. المظفر، محمد رضا، أصول الفقه عند الشيعة، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٣٨٨هـ.